مشروع طباعة الكتب السلفية (٩)

الإلحاد

وسائلة ، وخطره ، وسبل مواجهته

طبع على نفقة شباب الفحيحيل

الإلحاد
وسائله، وخطره، وسبل مواجهته

د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي
أستاذ العقيدة المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

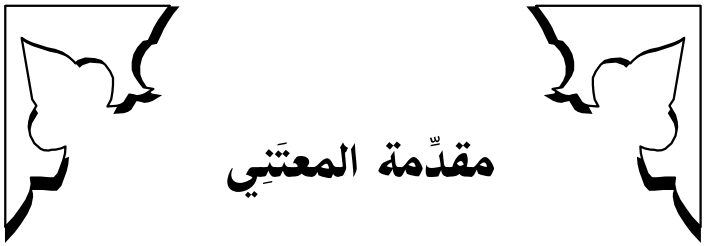

مقدِّمة المعتَنِي

الحمد لله الملك العلام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، **وبعد**:

فهذه الرسالة أصلها محاضرةٌ ألقاها فضيلة شيخنا الدكتور صالح بن عبد العزيز سندي، في الجامعة الإسلامية بتاريخ: (١٩/ ٤/ ١٤٣٣هـ).

وقد حضرتها ورغبت وقتئذٍ في إخراجها، إلَّا أنه منع من ذلك مانعٌ، ثم سنحت الفرصة الآن فعمدت إلى إخراجها مدقِّقًا لنصِّها على أصله الصوتي، مع عزو آياتها وما ورد فيها من أحاديث، وتصحيح ما يلزم تصحيحه من عبارات يقتضيها أسلوبُ الإلقاء، لتناسب أسلوبَ الكتابة، ثم عرضتها عليه ـ وفقه الله ـ فراجعها.

والله المسؤول أن يصلح النيَّة ويسدِّدَ العملَ،

وأن يجعل ما صنعتُه ذخرًا لي عنده، وأن يغفر لشيخنا ويعلي مقامه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

ربيع بن أحمد البيطار

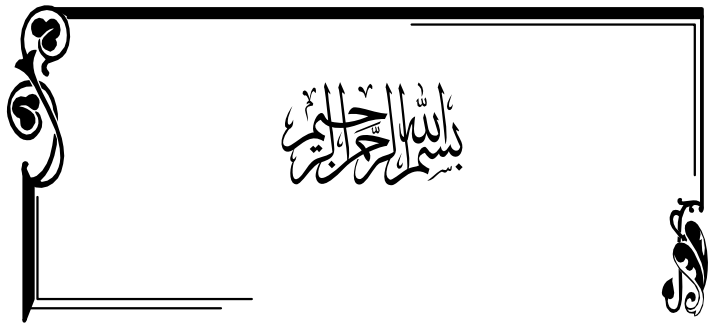

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن نبينا محمدًا ﷺ عبده ورسوله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فإن الأدلة العقلية والنقلية، والحس والفطرة، كلها شاهدة بأن ربنا تبارك وتعالى هو المتفرد في ربوبيه، والمتوحد في ألوهيته، عزَّ سلطانه، وعظم جلاله، وعلا شأنه، ونفذ أمره، وكمل بهاؤه.

استوى على عرشه، يدبر أمر عباده، الملك الحق، قيوم بنفسه، مقيم لغيره، غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ

فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]، يغفر ذنبًا، ويفرِّج كربًا، ويفكُّ عانيًا، وينصر ضعيفًا، ويجبر كسيرًا، ويُغني فقيرًا.

يُميت ويُحيي، يُسعد ويُشقي، يُضِل ويهدي، يُنعم على قوم ويسلب نعمته عن آخرين، يُعز أقوامًا ويُذل آخرين، ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، يمينه جل جلاله ملآى لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار.

الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، لا إله إلَّا هو العزيز الحكيم.

ليس له بوَّاب فيُستأذن، ولا حاجب فيُدخلَ عليه، ولا وزير فيُؤتى، ولا ظهير فيُستعانَ به، ولا له وليٌّ ولا شفيعٌ إليه إلَّا من بعد إذنه، ولا نائبَ عنه فيعرِّفه حوائج عباده.

أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء قدرةً ورحمةً، لا يشغله شأن عن شأن، لا تُغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرَّم بإلحاح الملحِّين، لو اجتمع أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم، وقاموا في صعيد واحد ثم سألوه فأعطى كلًّا منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عنده ذرة واحدة.

فسبحانه ما أعظمه وما أكبره، إنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ألا فبعدًا للظالمين الجاحدين.

إنه الله ربُّ العالمين، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٢، ٣]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠، ١١].

لقد قالت رسل الله ﷺ لأقوامهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٠]؛ أي: فإنه سبحانه أظهرُ الأشياء وأجلاها، الذي وجود الأشياء مستندٌ إلى وجوده، فهو الشَّاهد والمشهود له، وهو الدَّليل والمدلول عليه.

هو الدليل بنفسه على نفسه؛ كما قال بعضهم: «كيف أطلب الدليل على ما هو دليلٌ لي على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهرُ منه».

فسبحان من شهدت بوحدانيته المخلوقات، وخشعت لعظمته الكائنات، وافتقرت إليه جميع البريَّات، فلا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ فهو يحييها ويميتها، ويعدمها ويبقيها، ويحفظها ويدبِّرها، ويصرِّفها ويسخِّرها، فمنه الإيجاد ومنه الإمداد، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [الجاثية: ٦].

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾؟! فهو أعرف من أن يُنكَر، وأعظم من أن يُجحَد.

ولـيـس يـصـح فـي الأذهـان شـيءٌ
إذا احـتـاج الـنـهـار إلـى دلـيـل

فوجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهرُ من كل شيء على الإطلاق؛ فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبيَن للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلَّا مكابرٌ بلسانِه، وقلبُه وعقلُه وفطرتُه كلُّها تكذِّبه.

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟! إنما يكون الشَّك فيما تخفى أدلتُه وتُشْكل براهينُه، فأمَّا من له في كلِّ شيءٍ محسوسٍ أو معقولٍ آيةٌ بل آياتٌ؛ شاهدةٌ بأنه هو الذي لا اله إلَّا هو رب العالمين؛ فكيف يكون فيه شك؟! فليس في طرق العلوم التي يعرفها البشر أكثرُ ولا أدلُّ ولا أبيَنُ مما يدلُّ على وجوده وربوبيته وألوهيته ﷻ.

إن كل ما تراه بعينك أو تسمعه بأذنك أو تعقله بقلبك، وكل ما نالته حاسة منك، فهو دليل عليه تبارك وتعالى.

إذن طرق العلم بالخالق ﷻ ضرورية ليس فيها أدنى شك، ولذا قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟! فخاطبوهم مخاطبة مِن لا ينبغي له أن يخطر له شك ما في وجوده ﷻ، بل في ألوهيته وربوبيته وكماله في صفاته جل وعلا.

ومع كون هذه القضية أظهر القضايا وأوضحها، إلَّا أنه وُجد شُذّاذٌ من البشر أنكروها، وأضحت فتنتهم ووباؤهم غزوًا مركزًا تجاه ناشئة المسلمين وشبابهم، يُصيب عقيدتهم وأخلاقهم في مقتل؛ فلذا كان الوقوف في وجه هذه الفتنة النكراء وهذا الإرهاب الفكري الشنيع من أعظم الجهاد في سبيل الله؛ لأنه دفع للصائل عن الدين والدنيا جميعًا.

ما هو الإلحاد؟

الإلحاد **في اللغة**: الميل عن القصد.

وأما في الاصطلاح: فإنه إنكار وجود الله تبارك وتعالى.

والملحدون: هم الذين لا يؤمنون بوجوده جل وعلا، بله وحدانيته في ربوبيته وألوهيته.

وهؤلاء الملاحدة يقولون: إن الكون وُجد بلا خالق، والمادة أزلية؛ هي الخالق والمخلوق معًا، وبالتالي فإنهم يكفرون بالرسل ويجحدون الأديان.

❑ **وفي الجملة هم صنفان**:

الصنف الأول: من يعتقد بنفي الله جل وعلا.

الصنف الثاني: وهم الذين يطلق عليهم: «اللاأدرية»، وهم الذين يقولون: لا ندري، هل يوجد رب خالق أم لا؟

ويجمع هؤلاء وأولئك عدم الإيمان بالخالق جل وعلا، لكن هؤلاء مع شك، وأولئك مع جزم.

والبحث والواقع يكشفان أن معظم المفكرين الذين أعلنوا إلحادهم لم يتمتعوا بصفة الإلحاد الموجب ـ كما يقولون ـ؛ أي أنهم لم يستندوا إلى نظريات علمية، وإنما هم ملحدون إلحادًا سلبيًّا، وذلك أنهم يُبدون ـ فقط ـ عدم قناعتهم بأدلة وجود الله.

وفي هذا يقول أحد الفلاسفة الفرنسيين ـ وهو (موريس بلوندل) ـ: «ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة».

وليس ببعيد عمن ذكرت طائفةٌ من الملاحدة الفلاسفة الذين قالوا بإثبات خالق للكون؛ لكنهم زعموا أنه تخلَّى عنه أو فَنِي بعد أن خلقه وتركه يسير بنفسه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ما أعظمها من جريمة! فالله سبحانه يقول: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١﴾ [مَريَم: ٨٨ ـ ٩١]؛ فكيف بمن جحده بالكلِّية؟!

ومعلوم أن وجود الإلحاد قديمًا في الناس قليل؛ إذ

لم يذهب إلى إنكار الله ﷻ في القديم إلَّا شرذمة قليلة من البشر، من أشهرهم: فرعون حينما قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٣].

وذهب إليه كذلك طائفة من الفلاسفة، وكذا طائفة من مشركي العرب الذين يطلق عليهم: الدَّهرية؛ وهم القائلون بقدم العالم وإنكار الصانع.

إذن لم يلقَ إنكار الخالق جل وعلا ـ قديمًا ـ رواجًا بين الناس، وفي هذا يقول أحد مؤرخي الإغريق ـ وهو (بلوتارخ) ـ: «لقد وُجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد».

وأما في العصر الحديث فإن الأمر قد اختلف؛ فمنذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، ومع التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده الغرب؛ بدأت بوادر تيارات أعلنت نفي وجود الخالق سبحانه!

وهذا العصر كان عصر «ماركس» و«داروين» و«نيتشه» و«فرويد» الذين قاموا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريق ليس لاعتقاد الخالق فيها أثر.

وقد ساهم في هذا الأمر: الموقفُ الهشُّ للديانة النصرانية في القرون الوسطى وما تلاها، نتيجة للحروب والجرائم والانتهاكات التي تمت في أوربا باسم الدين، بسبب تعامل الكنيسة الكاثوليكية في حق ما اعتبرته هرطقة أو خروجًا عن مبادئ الكنيسة.

ولم يقف الأمر عند العلماء التجريبيين أو النفسانيين أو الاجتماعيين؛ بل تعداهم إلى الأدباء الذين أعلنوا ما أسموه: فكرة وفاة الدين والخالق، وأن الدين أبعَدَ الإنسان عن إنسانيته بفرضه قوانين تعارض طبيعة البشر حريةً وسعادةً.

وقد تزامنت هذه الأفكار مع الأبحاث الشهيرة لـ«**داروين**» وهي التي كانت مناقضة تمامًا لنظرية نشوء الكون في الكتاب المقدس عند النصارى.

وكذلك فقد أعلن «**نيتشه**» مقالته المشهورة: «موت الخالق الأعظم»، ومقالته الأخرى: «إن الدين فكرة عبثية وجريمة ضد الحياة».

وهكذا أخذت أفكار الملحدين في هذه المرحلة منحى النفور من الدين، لتناقض العقل مع تصرفات وتعاليم الكنيسة.

كما أعلن «**ماركس**» أيضًا نظريته المشهورة: «لا إله، والحياة مادة»، واعتبر الدين: «أفيون الشعوب»، إذ هو في زعمه يجعل الشعب كسولًا وغير مؤمن بقدراته في تغيير الواقع.

وظهر «**فرويد**» كذلك بنظريته التي زعم فيها أن الدين وهْمٌ كانت البشرية بحاجة إليه في بداياتها، وأن فكرة وجود الإله هي محاولة من اللاوعي للوصول إلى الكمال في شخص هو مثل أعلى بديلٍ لشخصية الأب؛ إذ إن الإنسان في زعمه في طفولته ينظر إلى والده كشخص متكامل وخارق، ولكن بعد فترة يدرك أنه لا وجود للكمال، فيحاول اللاوعي إيجاد حل لهذه الأزمة بخلق صورة وهمية لشيء اسمه الكمال.

ويضاف إلى ما سبق: أن ثمة تغيرات سياسية شهدتها فرنسا بعد الثورة الفرنسية ـ وكذلك الحال في بريطانيا وغيرها من البلدان الأوربية ـ حيث كان هناك اتجاه سائد لفصل الدين عن السياسة.

وهكذا بدأ الإلحاد المعاصر في الغرب، وهكذا انتشر سريعًا، حتى وصلْنا إلى هذه السنوات الأخيرة التي بدأ فيها بريق الإلحاد يتوهَّج بعد فترة ركودٍ أعقبت سقوط

الدولة الراعية للإلحاد الداعمة له، وهي الاتحاد السوفييتي.

ووفقًا للإحصاءات؛ فإن انتشار الإلحاد في العالم يتنامى بصورة خطيرة، من هذه الإحصاءات ما قامت به مؤسسة: «**يوربا روميتر**» ـ وهي من كبريات المؤسسات الإحصائية في أوربا ـ فقد ذكرت أن ١٨٪ من سكان أوربا في عام (**٢٠٠٥**م) أصبحوا ملاحدة لا يؤمنون بوجود خالق، و٢٧٪ منهم لا يؤمنون بخالق، وإنما يؤمنون بعالم روحاني أو قوة وراء الحياة.

ومنها أيضًا إحصائية مؤسسة: «**إبسوس ريد**» ـ وهي مؤسسة شهيرة متخصصة في استطلاعات الرأي ـ ذكرت أن أعداد الملاحدة في كندا في عام (**٢٠١١**م) وصلت إلى (٤٣٪).

وكذلك ما ذكرته مجلة: «**فاينانشال تايمز**»، فإنها ذكرت أن (٦٥٪) من اليابانيين أصبحوا في عام (**٢٠٠٦**) ملاحدة.

وكذا إحصائية مؤسسة «**إينجو**» التي ذكرت أن عدد الملاحدة يزداد في المكسيك بنسبة (٥,٢٪).

وقد ذكرت إحصائيات أخرى أن نسبة الملاحدة في الصين ما بين (٨ ـ ١٤٪)، ناهيك عن أن كثيرًا من البوذيين ـ وهم أعداد هائلة ـ هم في حقيقة أمرهم ملاحدة.

أما قناة «بي بي سي»؛ فقد توصلت إلى أن (٩٪) من الأمريكان ملاحدة، كما ذكرت إحصاءات أخرى ـ رسمية وشبه رسمية ـ أن الإلحاد في الولايات المتحدة ينمو بوتيرة سريعة، وأن (٥٥٪) من الملاحدة واللاأدرية تقل أعمارهم عن (٣٥) سنة، وأن الجامعات الأمريكية مرتعٌ خصبٌ لانتشار هذا التيَّار.

هذا كله عند غير المسلمين، فماذا عن العالم الإسلامي؟

إن المتتبِّع للتاريخ الإسلامي يجد حالاتٍ فرديةً وشاذَّةً لأناس ارتدوا إلى الإلحاد، من أشهر أولئك: «**ابن الراوندي**» الملحد الذي كان يهوديًّا ثم أعلن الإسلام ثم تهوَّد ثم ألحد.

أما الإلحاد في ثوبه المعاصر؛ فإنه دخل إلى العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع عشر، مدعومًا من

الاستعمار، ومغطى بغطاء التغريب والدعوة إلى التحرر والعقلانية والتنوير بدايةً، والإلحاد وإنكار وجود الله ﷻ نهايةً.

وقد حفل التاريخ المعاصر بأسماء كثيرة حجزت لنفسها مكانًا في سجل الإلحاد المظلم، من الداعين المتحمِّسين له، ومن المقعِّدين والمؤصِّلين لأصوله.

ولا أظن أحدًا يغفل عن أن العالم الإسلامي حتمًا سيتأثر بالمد الإلحادي الغربي، نظرًا لهذا التقارب الكبير والتواصل الواسع بين الأمم في العصر الحديث.

المدارس الإلحادية

أما عن المدارس الإلحادية: فليس هناك مدرسةٌ إلحاديةٌ تجمع تحت لوائها كل الملحدين، لكنهم في الجملة اتجاهان:

اتجاه علمي تجريبي.

واتجاه فكري فلسفي.

وعن هذه وتلك نشأت مدارس تستلهم من الإلحاد مادتها.

فمنها: «**العلمانية**»، التي تعني: بناء المجتمع على أسس مادية لا علاقة للدين بها.

ومنها: «**الوجودية**» التي نادى بها «**سارتر**» وغيره، وهي التي تدعو إلى إبراز قيمة الفرد وحريته، وقدرته على أن يفعل ما يريد.

ومنها: «**الوضعية**» التي نادى بها «**أوغست كونت**»

وأترابه، وهي فلسفة تنكر أي معرفة تتجاوز التجربة الحسية.

ومنها: «**الشيوعية**» التي أسسها «**كارل ماركس**» وهي التي تقرر أن لا إله وأن الحياة مادة.

ومنها: «**الداروينية**» التي تقرر نظرية التطور والارتقاء.

ولا أنسى أن أشير هنا إلى مدرسة عبثية إلحادية انتشرت في العالم، ووصلت إلى عقر دار المسلمين، وهي مدرسة: «**عَبَدة الشيطان**»، وهي حركة إلحاديةٌ في فلسفتها، وثنيَّةٌ في طقوسها، يهوديةٌ في دعمها، تنكر الربَّ جل وعلا، وترفض الأديان، وليس لها هدف في الحياة إلا التمرد واللَّذة ـ بل اللذة الشاذَّة ـ والكلام عنها يحتاج إلى تفصيل أوسع نظرًا لعظيم ضررها.

وبعض الباحثين يقسم الإلحاد بحسب الدافع إليه، ويجعله ثلاثة أقسام:

الأول: الإلحاد العاطفي، وهو الذي دافعه استشكالٌ للقدر.

الثاني: الإلحاد المادي النفعي، وهو الذي دافعه